الفصل الأول

لماذا لا يمكن تفادي الكساد

Why A Depression is Inevitable

تغوص أمريكا في كسادها الكبير الثاني في عصورها الحديثة . يتمثل المكان في كل بيت ، دائرة عمل ، والمجتمع ككل . الزمن الآن .

كساد أمريكا الكبير الثاني ليس نمطياً كركود القرن العشرين الذي يحدث أن يضرب بشدة إلى حد ما أو يطول بقاؤه بعض الشيء . وليس مجرد سيناريو قصصي رسم معالمه وأحداثه اقتصاديون متشائمون ينظرون إلى الأحداث من خلال بللورة كريستال معتمة .

الكساد الكبير الأمريكي الثاني نتيجة لا يمكن تفاديها ، وذلك للانهيار الكبير في قطاع الإسكان ، والتدهور المفاجئ والسريع في الرهونات العقارية، وأكبر أزمة مالية في التاريخ غير مسبوقة .

الآن ، قد تسببت الأزمة المالية في أكبر حالات الإخفاق المالي ، والتدمير الساحق للثروات الذي لم يشهده أي مواطن تحت عمر التسعين عاماً من قبل .

الآن ، إنها تتحدى العقول الأكثر تألقاً في واشنجتن Washington وتخترق الجيوب الأكثر عمقاً في Wall Street ، وتندفع بعنف خلال حياتنا بقوة الإعصار المدمر . ومع ذلك ، ووسط تلك البيئة الأكثر اضطراباً ، واتخاذ

القرارات التي يمكن أن تغير مستقبلنا إلى الأبعد ؛ فإنه ليس لدى أي فرد تجربة شخصية مع مثل هذه الملحمة .

وليس لدى أنا أيضاً . لقد ولدت في عام ١٩٤٦ ، بالضبط حينما كنا تركنا خلفنا بقية الآثار السيئة لكساد أمريكا الكبير الأول . لقد درست تلك الفترة التاريخية من خلال الكتب ، الرسوم البيانية ، والأرقام ، ولكن تلك ليست نفس الشيء . لقد عشت في البرازيل واليابان أثناء الأوقات الصعبة ، ولكن ذلك أيضاً كان مختلفاً .

إن ما يجعلني أقرب إلى فهم هذه الأزمة فهماً عميقاً يتمثل في نصف قرن أمضيته مع والدي أحد الاقتصاديين القلائل الذين ليس فقط نصح المستثمرين أثناء الكساد الكبير الأول ، ولكنه عملياً تنبأ به .

كان أبي فخوراً بذلك العمل البطولي غير العادي إلى حد أنه بدأ يحكي لي قصصاً عنه عندما كان عمري خمس سنوات . وعن طريق السرد القصصي المؤثر عشت وقائع " العشرينيات المدوية " ، انهيار عام ١٩٢٩ ، حالات الإفلاس المصرفي في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) ، وما تلى ذلك من المعاناة الإنسانية على مدى سنوات كثيرة . من خلال دروس أبي ، شعرت كما لو كنت هناك معه عندما فقد المستثمرون ثرواتهم ، وعندما وصلنا إلى أدنى نقطة في قاع حالة السوء عام ١٩٣٣ ، وعندما استعدنا عافيتنا في النهاية ، وعندما تم تدشين علامة الثروات الجديدة . لم يكن والدي الأب المحبوب فقط ، ولكن أستاذي ، وشريكي ، وأفضل أصدقائي .

كنت أريد أن يكون أبي هنا اليوم ليكتب لك مباشرة ، وليساعدك شخصياً على الخروج من هذه الأوقات الصعبة . ولكن عندما كنت كبيراً بصورة كافية ، ساعدته على تأليف كتبه في مجال الاستثمار ، وفي عام ١٩٧١ ، وبمجرد أن أسست شركتي للبحوث الاستثمارية ، ساعدني على

كتابة مؤلفاتي . بالرغم من أنه قد رحل عن عالمنا ، أستطيع أن أشعر بطاقته المتدفقة حيوية وروحه الهادئة بجواري ؛ وتقريباً في كل فصل من فصول هذا الكتاب ، سوف أدعه يتحدث إليك من مؤلفاته .

فكر في هذا الكتاب باعتباره تأليفاً مشتركاً من كلينا نحن الاثنين . سوف يخبرك عن تجاربه وتحليلاته أثناء كساد أمريكا الكبير الأول ، وأنا سوف أخبرك بما يعنيه هذا في حالة كساد أمريكا الكبير الثاني وما يمكنك أن تفعله إزاءه . لقد تغير الكثير منذ ذلك الحين . إن الذي لم يتغير هو رغبة أسرتي القوية في أن تساعدك على تجاوز هذه الأزمة .

لقد ذهب والدي إلى Wall Street في عام ١٩٢٤ لكي يتعلم كل ما يستطيعه عن المال . بعد مرور خمس سنوات ، عندما ضرب البلاد الانهيار الكبير ، لم يكن يمتلك أية أسهم . كان أبواه حديثا الهجرة من أوربا الشرقية . ويستطيعان بالكاد توفير قوت يومهم . كان عليه أن يوفر كل شيء يكسبه ، ويحضره إلى البيت ويعطيه لوالدته . لقد عرف كيف تدهورت العقارات في Florida ، ورأى كيف كانت مزارع أمريكا في حالة من الفوضى . لم يكن يريد أن يقامر بمدخراته التي اكتسبها بصعوبة بالغة في وهم آخر .

بعد الانهيار ، جمعت سوق الأسهم قواها على مدى ستة أشهر تقريباً، بحيث اعتقد كل فرد في Wall Street أن الأزمة قد انتهت . ولكن أبي أقنع عملاءه وأصدقاءه أن يبيعوا كل شيء ، وأن ينقذوا ما يمكنهم إنقاذه من السوق ، ويكدسوا أكبر كمية يمكنهم تجميعها من النقدية . لقد كان مقتنعاً بأن السوق سوف ينهار مرة أخرى ، إلى حد أنه اقترض ٥٠٠ $ من والدته لكي يبيع خيارات قصيرة الأجل ويحقق ربحاً بصورة بارعة من السوق المنهار .

كان " انهيار ٢٩ " بالتأكيد العمل الكافي الافتتاحي للتدهور الكبير في السوق في التاريخ الحديث . في حالة ذروته هبط مؤشر Dow Jones لمتوسط الصناعات ٨٩ في المائة . مقارنة بقمة Dow في عام ٢٠٠٧ ، الذي وصل إلى اندفاع متهور يساوي أكثر من ١٢.٦٠٠ نقطة – ثم إلى انخفاض تقريباً ١.٥٠٠ . يشرح أبي هذا الهبوط الحاد بهذه الطريقة :

في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) ، مع كل خطوة إلى أسفل يخطوها السوق المنهار على المنحدر المنزلق ، كان على واشنجتن أن تعلن بعض المبادرات الجديدة لتعديل مسار الأمور . كان على الرئيس الأمريكي Hoover أن يعطي حديثاً رئاسياً واعداً لإثارة الثقة وزيادة الحماس بأن " الازدهار على وشك الحدوث " . وغالباً يقدم مؤشر Dow على مراحل تغيرات جذرية في ارتفاع الأسعار في الأسواق المالية – إلى أعلى ٣٠ في المائة في الجولة الأولى ، ٤٨ في المائة في الجولة الثانية ، ٢٣ في المائة في الجولة الثالثة ، وهكذا . في كل مرة ، أحاول استخدام تحركات الأسعار إلى أعلى على أنها فرص بيعية . أقنعت الكثيرين من عملائي للتخلص من أسهمهم ، والعمل على تراكم النقدية لديهم . بل إنني أخبرتهم لكي يسحبوا أموالهم من البنوك المهتزة .

على السطح ، ربما قد ظهر الوضع على أن مجرد الجلوس خارج الأزمة كان سوف لا يحقق لها شيئاً . عملياً ، مع ذلك كانت تلك استراتيجية لبناء ثروة . كانت الأسعار في هبوط متواصل – في المنازل ، في السيارات، وتقريباً في كل شيء . لذلك ، مع كل هبوط أكبر في الأسعار ، ترتفع قيمة أموالك أكثر . فقط من خلال توفير الأموال ، تخبئة النقدية ، المحافظة على وظيفتك ، وممارسة حياتك اليومية ، كنت تبني ثروتك . لم تكن مطالباً بأن تعرف الاستثمار . كل ما كنت تحتاج إلى استنتاجه كان يتمثل في حماية

نفسك من الأوقات السيئة . حينئذ ، عندما وصلنا إلى أدنى نقطة في قاع حالة السوء كان ذلك وقت بداية الشراء من العقارات ، الأسهم أو السندات .

تستطيع أيضاً أن تربح بصورة ضخمة من الانهيار نفسه ، بالبيع قصير الأجل . ذلك ، كيف بنى صديقي Bernard Baruch ثروته العظيمة، وكيف فعلت أنا أيضاً . ولكن حتى إذا لم تبع أبداً سهماً واحداً من المخزون بيعاً قصيراً ، وجلست فقط بعيداً عن أحداث الانهيار ، فإن بناء النقدية يفتح أمامك فرصاً عظيمة لبناء ثروة عندما تقترب من نهاية الانهيار .

تأتي النهاية ومعها حدثين : تنصيب رئيسنا الجديد Franklin Roosevelt ، وعطلة الأعمال المصرفية القومية التي أعلن عنها الرئيس في يومه الثالث في منصبه . ولكن بعد ثلاثة أعوام من حالات الذعر والانهيارات ، أحيا معظم الناس تلك الأحداث في جو من الرعب . اعتقدوا أنها يمكن أن تكون بداية أزمة أخرى ، ربما أكثر انحداراً . بل إن بعض الناس قالوا أنها كانت الفصل النهائي في الرأسمالية ذاتها . وعندما غيرت الأزمة مسارها ، كان ذلك هو الوقت بالضبط لالتقاط بعض صفقات القرن الأكثر ضخامة وتجميع الكثير من الأموال .

مساعدة الناس على اكتساب الأموال كانت مهنة أبي ، ولكن هذه العاطفة في الحياة ذهبت إلى ما هو أبعد من المال ، كان رجلاً ذا مشاعر وتعاطف عميقين لدى إخوانه في الإنسانية . عندما كان الآخرون يعانون ، كان يعيش معاناتهم جنباً إلى جنب . لقد أعطاهم وظائف ، واشتري لهم وجبات ، وقدم وفرة غزيرة من النصائح المجانية .

الأكثر من كل هذا ، لم يكن يريد أن يرى أمريكا وقد تعرضت مرة أخرى إلى كساد آخر أبداً . كانت رؤيته لإنجاز ذلك الهدف ، مع ذلك ، مختلفة عن معظم الاقتصاديين في فترة ما بعد الكساد . كانت استراتيجيتهم

انتشال أمريكا من ، تقريباً كل هبوط وسبات ، السعي المتواصل إلى الأبد للمحافظة على الاقتصاد في حالة نمو ، كانوا دائماً يأخذون بيد المؤسسات الكبيرة التي تفشل . كانت فلسفته التحديث في كلا الاتجاهين . كتب يقول " الطريقة الوحيدة لتفادي ألم أزمة اقتصادية حادة ، أن تحد من المبالغة في الازدهار الكبير " .

الآن ، في القرن الحادي والعشرين ، من الواضح أنك سوف تواجه أخطاراً مماثلة ، ويكون أمامك فرص مماثلة .

بصرف النظر عن الاختلافات بين ما قد كان وما هو كائن الآن ، تتميز كل حالات الكساد ببعض العناصر الأساسية المشتركة : إنها أكثر عمقاً وأطول بقاء من الركود – تناقض قاس في الاقتصاد على مدى سنوات مضاعفة ، مع ما يترتب عليه من بطالة على نطاق واسع ، وخسائر مالية مدمرة لمعظم المواطنين .

كم يمكن أن يطول بقاء هذا الكساد ؟ إلى أي مدى يمكن أن تهبط أسعار المنازل ؟ إلى أين سوف تذهب أسعار سوق الأسهم في رحلة الهبوط الحاد ؟ هل يمكن أن يكون هبوطها على مستوى سوء عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) ؟

عند هذه النقطة تستطيع أن تعد على أصابعك عدد المحللين الجادين الذين يعتقدون أن ذلك الهبوط احتمال بعيد . ومع ذلك ، أشياء أكثر غرابة قد حدثت بالفعل متضمنة انهيارات أكبر البنوك وأضخم شركات التأمين في كل الأوقات . قبل وفاته ، كتب والدي :

لدى بعض الناس من جيلي ذكريات خلفية من تماسك أفراد الأسرة والتضحيات المشتركة أثناء الكساد الكبير ، وأنا أيضاً ، فعلت ذلك . ولكني أيضاً لا أستطيع أن أنسى الأرقام التي درستها أو المعاناة التي تضمنتها .

على مدى ثلاث سنوات قصيرة فقط ما بين الذروة في انتعاش سوق الأسهم في عام ١٩٢٩ ، والقاع في عام ١٩٣٢ ، كانت توحي بأن العالم بأسره كان يهوى متقطعاً أجزاءً . انفجرت الفقاعات الهوائية المالية . أفلست شركات كبيرة . فقدت أمريكا ١٣ مليون وظيفة . وصل معدل البطالة ٢٥ في المائة . تراجع إنتاج الصناعة الأمريكية تقريباً إلى النصف ، انحسر بناء المنازل إلى خمس نشاطه السابق . الانكماش – هبوط الأسعار – سحب قيمة كل أصل تقريباً إلى لا شيء . أكثر من ٥,٠٠٠ بنك أخفقت ، وفي النهاية اختفت .

معظم الأمريكان – وخاصة الشباب الذين يديرون بلايين الدولارات في Wall Street – ليس لديهم مفهوم حول القوة والسرعة التي تفسر الانهيار الكبير لسوق الأسهم . إنهم لم يعايشوا أبداً واحداً منها . لذلك من الصعب عليهم أن يتصوروه . في عام ١٩٢٩ ، كان الناس يقفزون موتاً من النوافذ ، بل إن بعض من كانوا أثرياء كانوا يبيعون التفاح على ناصية الشوارع . وصلت أمواج الصدمة تقريباً إلى كل مكتب ، وإلى كل بيت في أمريكا ، وفي العالم . في المرة القادمة ، عندما تحاول واشنجتن بكل قواها لإيقاف الأزمة ، يمكن أن تكون في النهاية ، على نفس المستوى من السوء ، وربما أكثر سوءاً .

أوافق . نعم ، تتصرف الحكومة بصورة أكثر جرأة وإقداماً هذه المرة لمنع حالة السيناريو الأكثر سوءاً ، ولكن هل ذلك تصرفاً إيجابياً أو سلبياً ؟ نعم ، نحن لدينا نظام سوق أكثر حداثة ، ولكن لدينا أيضاً مخاطر وحالات ضعف جديدة وغير مسبوقة ، التي كانت صغيرة أو غير موجودة في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) .

مخاطر وحالات ضعف غير مسبوقة

إذا كان لا يزال لديك شك حول حدوث كساد القرن الحادي والعشرين ، فإنه ليس عليك أن تصدق رئيس مجلس إدارة الاحتياطي الفيدرالي ، عندما يقول أننا نعايش الآن أسوأ أزمة مالية منذ ١٠٠ عام . وليس عليك أن تلتفت إلى وزير الخزانة عندما خر راكباً على ركبتيه متوسلاً إلى الكونجرس ليمنحه المزيد من بلايين الدولارات لينقذنا من إخفاق مالي كارثي مفاجئ . كل ما عليك أن تفعله أن تترك كرسيك واقفاً ، تفتح الباب ، وتسير على قدميك خارج البيت .

تقريباً كل شيء رأيته وسمعته سوف يعطيك مؤشراً على المحنة الحقيقية في وقتنا الحالي – واحد من كل ١٠ ملاك منازل ارتكب جنحة التأخير في السداد ، أو أجبر على إخلاء منزله طبقاً لعقد الرهن العقاري ، ٤ من كل ١٠ انتكست ملكيتهم لمنازلهم رأساً على عقب ، ٨ من كل ١٠ يخشون المستقبل ، وهكذا طبقاً للتشريعات .

أو فقط ، تحول إلى الأخبار . إنك ترى أكبر الشركات الأمريكية –: Merrill Lynch, General Motors, AIG, Fannie Mae, Citigrop: أفلست ، خضعت للكفالة ، أو للشراء . إنك ترى انفجار الفقاعات في الإسكان ، العقارات التجارية ، أسواق الأسهم ، والسلع . إنك ترى الأذرع الاقتصادية تنكسر في الأمريكتين ، في أوربا ، وفي آسيا .

حتى الاقتصاديات التي كان يعتقد أنها محصنة مثل الصين وأستراليا تتعثر الآن . حتى الاستثمارات التي قيل أنها آمنة مثل سندات الشركات ، وسندات البلدية والشركات الكبيرة المدعمة حكومياً قد غرقت .

قد أطلق قادتنا أنفسهم صفارات الإنذار . إذا لم يستطيعوا التصرف بسرعة ، فإن العالم – يقولون – كما نعرفه اليوم ، سوف يهوى أجزاءً

ممزقة . ومن ثم ، لكي يتجنبوا ما يخشون أنه يمكن أن يكون الكارثة النهائية، فإن حكومات الدول الأكثر ثراءً ، قد شرعت في عمليات إنقاذ مالية هي الأكثر تكلفة من كل وقت . في أقل من سنة قد أنفقت حكومة U.S. وحدها ، أقرضت ، التزمت ، أو ضمنت أكثر من ٩ تريليون دولار ، ١٣ مرة ضعف أكبر عجز فيدرالي في ميزانيتها . الحكومات الأوربية قد قفزت بالمزيد من تريليونات عديدة ، الصين أكثر من ٦٠٠ مليون دولار .

لقد ضمنوا البنوك المفلسة ، شركات السمسرة المنهارة ، شركات التأمين المعسرة وشركات إنتاج السيارات المرتبكة مالياً ، وأي شركة يعتبرونها محورية للاقتصاد .

لقد ضخوا أموالاً ضخمة في أسواق الرهونات العقارية ، أسواق الائتمان الاستهلاكي ، وحتى أسواق الأسهم . إنهم يشجعون المقرضين على الإقراض والمستهلكين على الاستهلاك ، والمستثمرين على الاستثمار . إنهم يفعلون كل ما لديهم من قوة لمنع كساد أمريكا الكبير الثاني . ولكن هل سوف ينجحون في هذه المهمة ؟ فيما يلي إجابة والدي على سؤال مماثل طرحته عليه قبل وفاته :

في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) كنت أتتبع الحقائق والأعداد كما كانت تنشر – لكي تستخلص ما قد يحدث فيما بعد . لقد كنت محللاً وكانت تلك وظيفتي . ومن ثم أتذكرها جيداً .

بعد مضي سنوات ، اقتصاديون مثل Milton Friedman ، وصديقي الشاب Alan Greenspan ، عادوا بذاكرتهم إلى تلك الأيام لحل شفرة ما قد حدث من أخطاء . لقد استنتجوا أنه في الغالب كانت خطأ الحكومة ، وخاصة الاحتياطي الفيدرالي . لقد طوروا النظرية بأنه في المرة القادمة عندما نكون على وشك الدخول في مرحلة كساد ، فإن الحكومة

تستطيع أن توقف نموه وهو في المهد بالتصرف الأكثر سرعة والأكثر اقتحاماً .

ياه ! أولئك الزملاء لم يكونوا هناك حينئذ . عندما ذهبت لأول مرة إلى Wall Street ، كان Friedman في المرحلة الثانوية ، أما Greenspan فقد كان لا يزال في المهد .

لقد شاهدت بالضبط ما كان يفعله الاحتياطي الفيدرالي في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) : لقد فعلوا كل ما في وسعهم لمحاولة وقف الذعر . لقد دللوا البنوك . لقد ضخوا بلايين الدولارات . ولكن لم يكن هناك ما يفيد . وفي النهاية استنتجوا أنهم كانوا فقط يبددون أموالهم على حالات مريضة ليس هناك أمل في شفائها .

ليس مطلوباً منك أن تكون اقتصادياً لكي تفهم ماذا كانت المشكلة . لقد كانت عبارة عن غرق الثقة العامة ، والأموال لا تشترى الثقة . لقد كانت استعادة الثقة تتطلب أكثر من مجرد المال . أنها كانت تتطلب أيضاً الوقت .

الجذور الحقيقية لأزمة عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) الاقتصادية ترجع إلى الانتعاش الاقتصادي في عقد العشرينيات (١٩٢٠) ، والذي يطلق عليه هدير العشرينيات ، The Rearing Twenties . ذلك عندما أعطي البنك الفيدرالي الأمريكي Fed أموالاً رخيصة إلى البنوك بسرعة وحيوية . ذلك هو السبب في أن البنوك أقرضت الأموال إلى السماسرة ، والسماسرة أقرضته إلى المضاربين ، والمضاربة خلقت ارتفاعاً مجنوناً في أسعار سوق الأسهم غير مبررة والتي يطلق عليها stock market bubble (فقاعة سوق الأسهم) . كان ذلك هو السبب الحقيقي في الانهيار والكساد !

بحلول عام ١٩٢٩ ، كان اقتصادنا مؤسسة للكروت الائتمانية . لم يكن يهم أي الكروت تساندها الحكومة ، وأيها ندعه يسقط . من الواضح أننا

لم نستطع أن تنقذها جميعاً . ولذلك ، بصرف النظر عما فعلناه ، كانت في طريقها إلى الانهيار على أية حال . مع تزايد وقت انكارنا لتلك الحقيقة ، ومحاولة مقاومتها ، تتزايد حالة السوء بالنسبة لكل فرد . ومع السرعة في قبولها ، نستطيع أن نسرع في بداية استرداد عافيتنا الحقيقة .

ومع ذلك ، تبدو الحكومات اليوم ، كما لو كانت لم تتعلم الدرس بعد . إنهم لا يزالون يحاولون مساعدة كل مؤسسة أو سوق كبير على وجه الكره الأرضية على الخروج من ورطته المالية . مرة أخرى ، السؤال الكبير : هل سوف ينجحون ؟ الإجابة السريعة : نعم ، ربما لفترة محدودة . يمكنهم أن يتصرفوا بسرعة وحيوية . يستطيعون شراء الوقت ويؤجلون يوم تصفية الحساب . يمكنهم استثارة أسعار سوق الأسهم إلى أعلى بصورة حادة وشاملة ، وحتى إحداث تقلبات قصيرة الأجل في استعادة العافية الاقتصادية . إن ذلك لا يحل مشكلة الأزمة التالية ، ولا التي تأتي بعد ذلك . إنه ليس نفس الشيء الذي يفترض المسئولة عن مستقبلنا . إنه يفعل القليل من أجلك ومن أجلي ، بل والأقل بالنسبة لأطفالنا وأطفالهم .

الإجابة في الأجل الطويل : لا ، إنهم سوف يفشلون

لقد رفعنا إلى الكونجرس ، Mike Larson وأنا تقريراً موثقاً تحت عنوان " تقرير الأموال الآمنة مع توضيح الأسباب ، وذلك في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨ : جاء تدخل الحكومة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه متأخراً جداً ، إلى حد أن ذلك التدخل المتأخر لا ينهي أزمة المديونية ؛ أكثر مما يجب ، وأسرع مما يجب لأولئك الذين سوف يكون عليهم دفع الفواتير .

وفي الواقع ، حتى عندما جمعت الحكومة أكواماً من الديون الرديئة ووضعتها تحت السجادة ، تتحول جبال من الديون الجديدة إلى رديئة – طوفان آخر من الرهونات العقارية لا يمكن تسديده ، أطنان جديدة من كروت

الائتمان متخلفة عن الوفاء وطابور جديد من الشركات الكبيرة على حافة الإفلاس .

وحتى مع البلايين الجديدة التي تلتزم بها الحكومة لإنفاقها على حالات الإنقاذ المالية ، فإن تريليونات من الثروة تتبدد مع انهيارات العقارات، الأسهم ، السندات والسلع .

وحتى مع وعود الحكومة بأن الازدهار على بعد خطوات قليلة ، فإننا نرى المزيد من هبوط أسعار البيوت ، المزيد من إغلاق المصانع ، المزيد من فقد الوظائف .

السبب الأساسي بسيط وواضح تماماً : مجتمعنا مدمن للديون . وإلى الحد الذي يمكن للحكومة أن تحافظ على تدفق الائتمان – وإلى الحد الذي يستطيع المقترضون الحصول على دينهم بإنتظام وثابت – فإن كل فرد يستمر في الإنفاق حتى إشباع كل رغباته . ولكن بمجرد أن يتوقف تدفق الائتمان ، أو، ما هو أسوأ ، سحبه من التداول ، يتلاشى مثل هذا الإنفاق البذخي . يعاني الاقتصاد الأمريكي آلام الانسحاب ، والأسواق المالية تدخل في اضطرابات عنيفة .

لكي تفهم لماذا وكيف بصورة أفضل ادرس تداعي الأحداث ....

محاولات فاشلة لإنهاء أزمة الدين

لقد رأينا أول إشارة تحذيرية عن كساد أمريكا الكبيرة الثاني عندما ضرب الإعصار الائتماني بكل قوة في أغسطس ٢٠٠٧ . أعلنت البنوك في كل أنحاء العالم عن بلايين الخسائر في رهونات العقارات عالية المخاطر . تراجع

المستثمرون في رعب . وبدت أسواق المال على مستوى العالم على وشك الانهيار .

لم يحدث الانهيار حينئذ – لأن بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي والبنوك المركزية الأوروبية تدخلت . حقنت السلطات الحكومية البنوك الأكبر على مستوى العالم بمبالغ نقدية غير مسبوقة . تراجع الإعصار الائتماني ، وأخذ الناس شهيقاً عميقاً تعبيراً عن الفرج . ولكنه كان فرجاً غير مكتمل ، لأنه في بداية عام ٢٠٠٨ ، ضرب الإعصار الائتماني من جديد ، هذه المرة بشكل أكثر خبثاً وأكثر عنفاً ، هذه المرة يتناول التأثير سلسلة من الأفراد أكثر اتساعاً .

شركات التأمين العقاري الأكبر على المستوى القومي ، والمسئولة عن حماية المقرضين والمستثمرين من عدم الوفاء بالديون العقارية على ملايين المنازل تعرضت للخراب بسبب الخسائر . تعرضت المستشفيات العامة ، والمستشفيات المحلية الحكومية إلى ضربة قاصمة بسبب الفشل في بيع سنداتها في 1,000 مزاد مما ضاعف من تكاليف اقتراضها إلى ثلاثة وأربعة أضعاف . كان المستثمرون يلغون السندات ذات المعدلات المنخفضة التي تصدرها الشركات حيث انحدرت أسعارها إلى أدنى مستوى في التاريخ . تعرضت صناديق التغطية لصفعة قوية ، من صندوق واحد ، شركات و شركة CSO ، فقدوا الكثير من الأموال ، وعانوا من ثقل إدارة أصولها إلى حد أن مديرها ، مجموعة Citi اضطرت إلى إغلاقها . وفوق ذلك ، كل الشركات المالية الكبيرة ، التي في مركز زلزال الأزمة تعرضت إلى خسائر لافتة التي سوف تزيد حالاً على ٥٠٠ بليون دولار.

لم يعد السؤال الكبير " أي شركات Wall street الكبيرة سوف تعلن أسوأ الخسائر ؟ أصبح السؤال الكبير " ما هي الشركة الكبيرة التي سوف

تكون الأولى في إعلان إفلاسها ؟ " الإجابة : Bear Stearns أحد أكبر البنوك الاستثمارية في العالم .

مرة أخرى تدخل بنك الاحتياطي الفيدرالي Fed . ليس فقط تمويل صفقة شراء عملاقة لأسهم بنك " Bear Stearns ، ولكن لأول مرة في التاريخ قرر Fed إقراض مئات البلايين لأي شركة كبيرة أخرى في Wall Street تحتاج إلى أموال . مرة أخرى تنحت الأزمة جانباً مؤقتاً . مرة أخرى انتعشت شركات Wall Street وكسبت السلطات المعركة .

ولكن الحرب استمرت . على الرغم من عمليات الإقراض الخاصة التي باشرها Fed ، فإن شركة Wall Street أخرى – تقريباً أكبر ثلاثة أضعاف Bear Stearns كانت في حالة انهيار . اسمها : Lehman Brothers .

على مدى يوم نهاية الأسبوع في منتصف سبتمبر ٢٠٠٨ اجتمع رئيس مجلس إدارة Fed ، وزير الخزانة ، وبعض المسئولين الكبار الآخرين بمكاتب Fed في مدينة مانهاتن بولاية " نيويورك " . لقد درسوا بجدية محاولة إنقاذ Lehman ، ولكنهم تعرضوا لموضوعين على جانب كبير من الأهمية . أولاً ، أصول Lehman كانت ضعيف – ضعيفة جداً ، في الواقع ، حتى الحكومة الفيدرالية لا تريد الاقتراب منها بأي شكل ، أو تحت أي الظروف . كما أنه لم يكن هناك مشترون قطاع خاص لهم اهتمام عن بعد في زواج (شيء) بالإكراه . ثانياً ، كانت توجد وجهة نظر جديدة في أمريكا التي لم يسمع بها من قبل . أقلية صغيرة ولكنها معبرة أصبحت مشمئزة ومتعبة من عمليات إنقاذ المنظمات المتعثرة . لقد قالوا " دعهم يفشلون أو حتى يفلسون ، أعط هؤلاء الزائفين غير الأسوياء درساً " كانت الصيحة الجديدة الجماهيرية .

بالنسبة لرئيس مجلس إدارة Fed ووزير الخزانة كان يوماً مرعباً لتصفية الحسابات كما لو كان " يوم القيامة " . إنها لحظة مصيرية في التاريخ والتي تتطلب قرار حياة أو موت ، تتعلق بواحدة من أكبر المؤسسات المالية في العالم – أكبر من جنرال موتورز ، وفورد ، وكرايزلر معاً هل يجب أن ينقذوها ؟ أو يجب أن يتركونها تنهار ؟ قرارهم : أن يفعلوا شيئاً ما لم يسبق لهم أن فعلوه من قبل . لقد تركوا Lehman تنهار .

كيف تخفض الديون في الأوقات الصعبة

في الكساد ، تواجه الأسر المثقلة بأعباء الديون أسوأ ما في كل العوالم : يضيع منها اقتناص الفرص الكبيرة ، تقع في مصيدة التسديدات ، التي تكون أكثر إرهاقاً من المتوقع ، تواجه بصورة متزايدة وكالات تحصيل الديون العدوانية ، ويجب أن تتحمل قوانين الإفلاس الأشد قسوة . ومن ثم ، إذا كان هناك وقت للتخلص من الدين ، " هذا هو الوقت " Amber Darkar. Weiss ، اختصاصي بحوث التمويل الشخصي ، يشرح كيف :

الخطوة ١. أعلن حربك الشخصية على الديون . إذا كان هناك احتمال أن يزلزل الدين حياتك ، ويصيب أسرتك بالحزن الخطير ، نحن نؤكد لك أنه " ليس " صديقك . ركز كل طاقتك على قتله .

الخطوة ٢. هاجم البلاستيك اولا : اجمع كل كروت الائتمان التي في كل ارجاء المنزل ، بما في ذلك الخاصة بك ، وبقرينتك (أو قرينك) ، وتلك الخاصة بأي فرد آخر أنت مسئول عنه . حينئذ التقط أحد المقصات وقطعها إرباً .

الخطوة ٣. هاجم بعد ذلك البيانات المالية لكروت الائتمان . أجمع كل حساب بياناتك الحديثة واستنتج معدل النسبة المئوية (APR) annual

percentage rate . في أعلى كل بيان حساب اكتب قيمة APR في أرقام كبيرة . إفرز بعد ذلك الحسابات ذات القيمة APR الأكبر على قمة المجموعة والأصغر على أدناها .

الخطوة ٤. إجمع أقل تسديداتك الشهرية . تطلب شركات قروض الائتمان عن قصد تسديدات صغيرة جداً . يتمثل تخطيطها في أن تجعلك تكوم تراكمياً أكبر حجم ديون ممكن ، لكي تستطيع تحقيق أكبر فائدة ممكنة . كم من الوقت تحتاجه لكي تسدد أحد كروت الائتمان مع أقل دفعة شهرية بمفردها ؟ إذا كنت مديناً بمبلغ ٢,٠٠٠ $ مع ١٧ في المائة فائدة ، بأن تحتاج إلى ٢٤ سنة ، وبالنسبة لبعض كروت الائتمان ، فإن الفائدة المركبة التي تدفعها يمكن أن تصل إلى أكثر من ٣٥ في المائة ! ابذل كل ما في وسعك لكي تسددها بالكامل ، حتى إذا كان ذلك يتطلب الاقتراض من الأصدقاء والمعارف . إذا كان ذلك غير ممكن ، على الأقل سدد تلك الكروت ذات القيمة APR الأكبر .

الخطوة ٥. أقلع كلية عن كروت ائتمان جديدة . عندما تكون قد تخلصت من عادة كروت الائتمان السيئة ، لا تعود إليها مرة أخرى . إذا كنت في حاجة إلى شيء ملائم للكارت ، أحصل على كارت دين بدلاً من ذلك . ولكن أطلب من مصرفك كارت دين محصن تماماً ، وليس كارت مبني على خاصية كروت الائتمان . إذا ظهرت كروت ائتمان جديدة في صندوق بريدك القها في سلة المهملات في الحال .

الخطوة ٦. ابدأ في تسديد أي ديون شخصية أخرى قد تكون ملتزم بها . حيث أنك قد كنت قادراً على أن تعيش ، مع الاستغناء عن مبلغ لنقل مثلاً ٦٠٠ $ أقل شهرياً في معدل إنفاقك حتى الآن ، وإذا كانت ظروفك لم تتغير ، فإنك يجب أن تكون قادراً على التمسك بهذا المنهج . استخدم ذلك المبلغ في

تسديد أي ديون شخصية أخرى مستحقة .

الخطوة ٧. سدد ديونك العقارية . هذا مهم وبصفة خاصة إذا كنت قد حبست نفسك في معدل فائدة مرتفع ، أو إنك متعاقد على كارت ائتمان عقاري أسعاره قابلة للتعديل . ولكن في أوقات الكساد ، يجب أن تدرك أنه حتى مع الرهونات العقارية ذات السعر الثابت والمنخفض يمكن أن تصبح عبئاً أكبر . السبب : عادة يأتي الكساد مع هبوط الأسعار ، والذي يعني أن كل شيء تقريباً ، بما في ذلك الأجور تتجه إلى التخفيض . لسوء الحظ ، أحد الأشياء القليلة التي لا تتجه إلى الهبوط يتمثل في تسديدات الديون الثابتة ، وهذه يمكن أن تضغط على أنفاس المقترضين ، بصرف النظر عن أن القرض كان يبدو ملائماً في الأصل . يجب أن يكون هدفك أن ترسل إلى شركة الرهونات العقارية تسديدات شهرية أكبر من المطلوب . حينئذ ، تلك المبالغ الإضافية ، يجب أن تخصم آلياً من المبلغ الأصلي . سوف تدهشك السرعة التي تم بها تسديد الرهن العقاري .

الخطوة ٨. أكثر من مدخراتك النقدية ! إذا كنت تخشى فقد وظيفتك ، أجل تسديد ديون رهوناتك العقارية ذات المعدل الثابت إلى أن يجتمع لديك مبلغ كاف لتغطية ستة أشهر من نفقاتك .

يضاف إلى ذلك ، تأكد من أنك تسير طبقاً للخطوات التفصيلية التالية :

كيف تحمي وظيفتك في الأوقات الصعبة

في فترات الكساد ، يمكن أن يؤثر تخفيض حجم العمل تقريباً على " كل فرد" – بصرف النظر عن المهنة ، المركز الوظيفي ، مستوى الدخل ، النوع ، أو الأصل العرقي . بعبارة أخرى ، نحن جميعاً في مركب واحدة .

في النهاية ، يمكن أن تتناول سياسة الاستغناءات عن الوظائف المنظمات من أدناها إلى أعلاها – مالية ، إنتاجية ، خدمية ، وحتى على مستوى الحكومة المركزية أو المحلية . ومع ذلك ، بالنسبة للجزء الأكبر ، يمكن أن تعتمدوا كثيراً على الوظائف مع الحكومة الفيدرالية ، مع الشركات التي توفر الخلاص من الديون ، وخدمات الإفلاس ومع الشركات التي تبيع أو تخدم الضروريات الأساسية مثل تلك المرتبطة بالرعاية الصحية والغذاء . لمساعدتك على حماية وظيفتك الحالية أدرس الخطوات التالية .

الخطوة ١. إدرس التوقعات المالية لشركتك . إذا كانت أسهمها مسجلة في بورصة الأسهم ، تستطيع أن تكون فكرة عامة بفحص كيفية أداء سهمها مقارنة بمؤشر S & P 500 . إذا لم تكن شركتك مسجلة في أي بورصة ، استفسر عن إيراداتها وأرباحها على مدى الفترات الربع سنوية القليلة الماضية . إذا قال صاحب العمل أنها سرية ، يجب أن تكون قادراً على الحصول على تقرير من Dun & Bradstreet (ww.dnb.com) .

الخطوة ٢. إذا كانت توقعات شركتك إيجابية ؛ أعط تركيزاً أكبر على الاستراتيجية (أ) التالية . إذا كانت التوقعات سلبية ؛ أعط تركيزاً أكبر على الاستراتيجية (ب) .

الخطوة ٣. في حالة الكساد مارس الاستراتيجيتين التاليتين .

استراتيجية (أ) . أبذل كل ما في وسعك لكي تثبت أنك موظف ذو قيمة . أبحث عن شركة توفر فرص تعلم مهارات جديدة . وحتى إذا لم تكن هناك شركات متاحة ، خصص على الأقل ساعة يومياً من وقت فراغك لكي تتعلم مهارات ذات قيمة لشركتك . مع الإنترنت ، سوف يدهشك حجم ما يمكن أن تتعلمه مجاناً ، أو مقابل مبالغ زهيدة . وحتى إذا لم تتاح لك الإنترنت من المنزل ، الحصول السهل عليها متاح مجاناً في معظم المكتبات العامة .

يجب أن يكون أمين المكتبة قادراً على أن يعطيك إرشادات حول أفضل وأحدث المواقع .

استراتيجية (ب) . لتظل باستمرار على قمة سوق الوظائف . قم بعمل زيارات لمواقع وظائف web لتحصل على ميزة ثروة المعلومات المجانية حول مهارات الوظيفة الأكثر قابلية للتسويق ، والإرشادات اللازمة لكيفية الحصول على وظيفة ، ومعلومات حديثة تتناول ما يجري في صناعات متعددة . أيضاً استخدم هذه المواقع لتكن مستعداً لإرسال سيرتك الذاتية .C.V عبر المواقع المختلفة عند الضرورة .

الخطوة ٤. تعلم المزيد حول فرص الدخل الأخرى ، مثل العمل من البيت . إن هذا يحتاج إلى وقت لكي تحصل على الموقف الصحيح ، أو الأسوأ أن يقودك إلى خسائر لا تستطيع تحملها . لذلك ، أبدأ البحث حالاً . حتى إذا كانت شركتك حالياً تعمل بصورة جيدة ، فإن ذلك يمكن أن يتغير مع رسوخ حالة الكساد بالنسبة للمعلومات حول بعض الخيارات الأكثر قابلية للاعتماد عليها ، قم بزيارة للموقع :

www.moneyandmarkets.com/homebusiness

الخطوة ٥. المنهج الأفضل الوحيد لبداية العمل المنزلي أن تدعم أية مهارات متميزة قد تكون لديك الآن بدلاً من المشاركة أو شراء فرصة شخص ما آخر . في معظم الحالات ، مع ذلك ، يتوقف نشاطك المنزلي إيجاباً أو سلباً على كيفية تسويق مهاراتك . لكي تتعلم كيفية تسويق نفسك بفعالية أكبر في فترة الكساد ، قم بعمل زيارة إلى :

www.moneyandmarkets.com/skills.

كانت الرسالة الأساسية من السلطات الفيدرالية إلى كبار المسئولين في Lehman : " فيما يلي ما سوف تفعله . في صباح الغد ، سوف تأخذ

رحلتك إلى محكمة الإفلاس الأمريكية في One Bowling Green . سوف تذهب من أجل الترخيص بإعادة التنظيم وبعد ذلك تذهب إلى الاستغناء عن موظفيك . وقبل نهاية اليوم ، تذهب إلى تجميع متعلقاتك الشخصية وتغادر Lehman تماماً .

في كل من حالتي إخفاق Bear Stearns and Lehman ، الشركة القابضة للأعمال المصرفية JPMorgan Chase ظهرت على المسرح بسرعة وانقضت على كل الأعمال التجارية المتميزة للشركتين مع مباركة من Fed . في حالتي الإخفاق هذه ، لعبت السلطات الرسمية دوراً . لكن زوال Lehman كانت فريدة ، لأنه ألقى بها في متاهات الإفلاس .

إنه الزلزال المالي الذي غيَّر العالم

حتى ذلك التاريخ ، تقريباً كل شخص افترض أن الشركات العملاقة مثل Lehman كانت أكبر من أن تفشل وأن الحكومة كانت وستظل دائماً تتقدم لإنقاذها ، ولكن تلك الخرافة تحطمت في نهاية الأسبوع في أواخر الصيف ، عندما قررت حكومة U.S. أن تتخلى عن تقليدها الطويل في السخاء وتدع Lehman تغرق .

في كل أنحاء العالم تجمد الإقراض المصرفي . تكاليف الإقراض صعدت إلى عنان السماء . انهارت أسواق الأسهم عالمياً . سندات الشركات خزِّنت في صهاريج للتجميد . ظهر النظام المصرفي العالمي ككل كأشلاء متناثرة لا رابطة بينها .

" اعتقد أننا في حالة من البلاهة أو الحماقة " ، كانت جوهرية كلمات الاعتراف التي ترددت في كل من Fed ووزارة الخزانة . " الآن ، بدلاً من مجرد إنقاذ Lehman ، إن ما نحن في حاجة إليه حقيقة نظام مالي شامل لشراء الديون الرديئة ، والذي أطلق عليه " Mother of All Bailouts " .

الحكومة الأمريكية بسرعة جمعت وأخرجت بدقة ما طلبته – ٧٠٠ بليون $ – برنامج إنقاذ الأصول المتأزمة – انطلقت خلال الكونجرس ، وتحولت إلى قانون اعتمده الرئيس في زمن قياسي .

بالإضافة إلى ذلك ، قد اقترضت الحكومة ، أو استثمرت ، أو التزمت بما قيمته ٢٠٠ بليون $ لتأميم أكبر شركتين للقروض العقارية : Fannie Mae and Freddie Mac ؛ أكثر من ٤٢ بليون $ لأكبر ثلاث شركات سيارات ؛ ٢٩ بليون $ لشركة Bear Stearns ؛ ١٥٠ بليون لشركة AIG ؛ ١٥٠ بليون لشركة Citigroup ؛ ٣٠٠ بليون لمؤسسة فيدرالية لإنقاذ ديون الرهونات العقارية الرديئة ، ٨٧ بليون $ يعاد تسديدها إلى JPMorgan Chase مقابل ديون Lehman الرديئة ؛ ٢٠٠ بليون $ على هيئة قروض إلى البنوك الخاضعة لتسهيل شروط مزادات Fed؛ ٥٠ بليون $ لتدعيم شركة IOUs ، قصيرة الأجل أقامتها صناديق استثمارية؛ ٥٠٠بليون $ لإنقاذ أسواق ائتمان متنوعة ؛ ٦٢٠ بليون $ للبلدان الصناعية ، متضمنة ، بنك كندا ، بنك انجلترا ، بنك اليابان ، بنك الدانمرك ، بنك أوربا المركزي ، بنك النرويج ، بنك استراليا ، بنك السويد ، وبنك سويسرا ؛ ١٢٠ بليون $ مساعدة للأسواق الصاعدة متضمنة البنوك المركزية في البرازيل ، المكسيك ، كوريا الجنوبية ، وسنغافورا ؛ تريليونات جديدة لضمان شركة تأمين الإيداعات الفيدرالية FDIC ، التوسع في تغطية تأمين الإيداعات من 100,000 $ إلى 250,000 $ ، بالإضافة إلى تريليونات كضمانات كاسحة أخرى .

الإجمالي الشامل : أكثر من ٨ تريليون $

قالت واشنجتن أنها جميعها كانت لسبب وجيه – إنقاذ العالم من الكساد

ولكن من الواضح أنه وصل إلى مستويات كانت لا تصدق ، ولا تزال أمامه عقبات خطيرة مطلوب اجتيازها .

عقبة (١) : ديون أكثر ما ينبغي

في البداية والأساسي ، عبء الديون الأمريكية مفرط في الضخامة . في منتصف عام ٢٠٠٨ ، كانت هناك ٥٢ تريليون $ فوائد محملة على الديون في U.S. متضمنة قروض رهونات عقارية ، كروت ائتمان ، ديون شركات، ديون بلديات محلية ، وديون فيدرالية ؛ احتاجت الحكومة الفيدرالية ٦٠ تريليون $ أخرى للضمان الاجتماعي ، الرعاية الطبية ، والتزامات أخرى تتعلق بتسريع برامج الفضاء ؛ كما أن البنوك التجارية الأمريكية تحجز ١٨٢ تريليون $ داخلياً على هيئة رهونات تسمى " مشتقات " . الإجمالي الشامل : ٢٩٤ تريليون $ في الولايات المتحدة الأمريكية فقط .

الأرقام ليست قابلة للمقارنة مباشرة ، ولكن لإعطائك أحساساً بضخامة المشكلة ، بمعنى ٤٢٠ ضعفاً أكبر من حزمة الأموال التي اعتمدت بعد مناقشات ساخنة ، وتقررت في الكونجرس ٧٠٠ بليون $ أصبحت قانوناً اعتمده الرئيس بوش في أواخر عام ٢٠٠٨ (الشكل ١٠١)

ولا يزال ، يعتقد معظم الناس أنه فقط لو استطاعت واشنجتن تفادي الأخطاء التي ارتكبتها في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) ... أنه فقط لو استطاعت واشنجتن قطع دابر داء هذه الأزمة في مهدها ... إنه فقط لو استطاعت واشنجتن أن تكون هي التي تقرضنا ، وتنفق علينا كملجأ أخير ... لم يكن الكساد الكبير الثاني سوف يأتي أبداً ليمر .

إن ما لا يدركونه يتمثل في حقيقة أن الدين الذي نشأ في الولايات المتحدة كان أكبر إلى حد كبير من كساد عقد الثلاثينيات . في الواقع Claus Vogt المحرر المشارك للنسخة الألمانية من مذكرتنا التي ترجمة عنوانها "تقرير المال الآمن " يوضح كيف أن إجمالي الدين قبل بداية عقد

الثلاثينيات (١٩٣٠) في الولايات المتحدة لا يمثل أكثر من ١٧٠ في المائة من إجمالي اقتصادنا . بحلول عام ٢٠٠٨ ، كان أقرب إلى ٣٥٠ في المائة من اقتصادنا (الشكل ١-٢)

الأكثر من هذا ، يفكرنا السيد Vogt أن هذا لا يضمن مجالات المضاربات عالية المخاطرة والمقامرة والرهونات الضخمة والتي يطلق عليها المشتقات . هذه الأنواع من الرهونات من النادر وجودها في عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) . على النقيض من ذلك ، في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين (٢٠٠٠) ، كانت هذه المشتقات تمثل عاملاً رئيسياً وراء خسائر وإخفاقات بنوك وشركات تأمين كبيرة .

شكل ١ - ١

حتى برنامج الإنقاذ الأكبر يتضاءل

أمام بناء الديون والرهونات

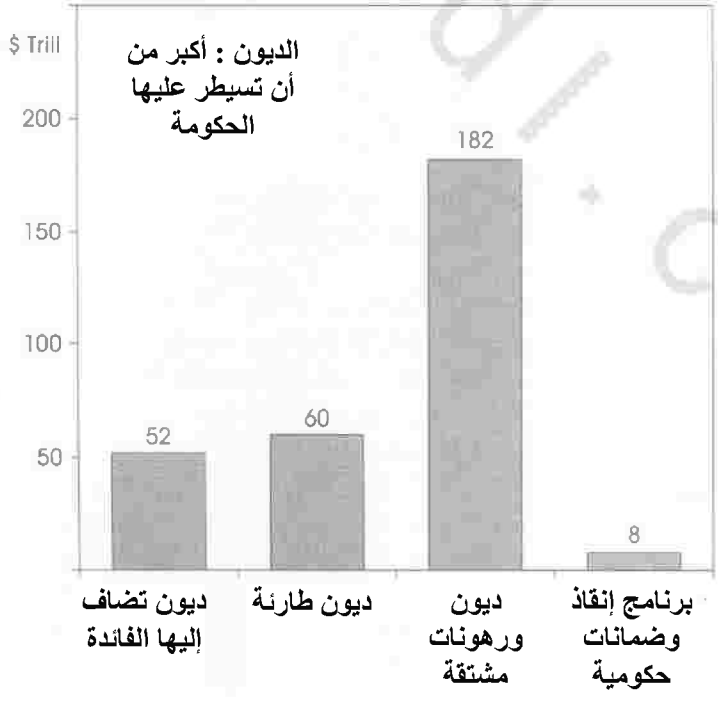

التحدي الكبير أمام حكومة U.S. في التعامل مع أزمة الديون الذي يتمثل في الحجم المطلق للديون غير المسددة . في منتصف عام ٢٠٠٨ ، بالإضافة إلى ٥٢تريليون $ في الديون التي تضاف إليها الفائدة ، والتي يعكسها الشكل ١-٢ ، فإنه كان لدى الحكومة ما تقدر قيمته ٦٠تريليون$ في ديون طارئة تتعلق بالتزامات مثل الأمن الاجتماعي ، الرعاية الطبية ، ومزايا المحاربين القدامى ؛ وبنوك U.S. كانت ملتزمة بمبلغ ١٨٢تريليون$ في ديون يطلق عليها مشتقات . حتى جهود الحكومة الأكثر طموحاً في برامج الإنقاذ سوف تكون صغيرة بالمقارنة .

مصدر البيانات : الاحتياطي الفيدرالي ، مكتب المحاسبة الحكومية ، ومكتب مراجع العملة الأمريكية.

إذا كان لدى الأمريكان ، بجانب ديونهم الضخمة ، على الأقل الكثير من النقدية ، كان يمكن ألا تحدث مثل هذه المشكلة . ولكن ، واحسرتاه ، لا شيء يمكن أن يكون أكثر صدقاً وعمقاً من الحقيقة . الأمريكان يوفرون أقل من ذي قبل على مدى التاريخ ، وأقل من نظرائهم في معظم الدول الصناعية على وجه الأرض . غالباً ، في السنوات الحديثة ، وفر الأمريكان العاديون صفراً ، أو حتى أقل من الصفر ، بل إنهم يسحبون من أصولهم للإنفاق اليومي .

شكل ١ - ٢

استفحال ديون U.S. أكثر سوءاً من عام ١٩٢٩

في عام ١٩٢٩ ، إجمالي مكونات الدين الذي تضاف إليه الفوائد في U.S. كان لا يمثل أكثر من ١٧٠في المائة من إجمالي الناتج القومي (GNP) . حينئذ في بداية عقد الثلاثينيات (١٩٣٠) حيث انهار الاقتصاد ، على الرغم من أنه لم تضف ديون جديدة بمبالغ ذات دلالة ، فإن الديون القائمة أصبحت عبئاً أكثر ثقلاً في علاقتها بالاقتصاد المنكمش ، متجاوزة ٢٦٠ في المائة من GNP . هذا العبء المتواصل عمل على إطالة فترة الكساد الكبير ، ولم يكن في الإمكان أن يبدأ الاقتصاد استرداد عافيته إلى أن تم تسييل جزء كبير من الديون خلال حالات الإفلاس تخفيض قيمة الأصول ، والتسديدات . في الوقت الحالي، قد زدت ديون U.S. إلى حد كبير ، زد على مستويات الذروة في الفترة ١٩٢٩ – ١٩٣٢ ، ويصل إلى ٣٥٠ في المائة من إجمالي الناتج القومي (GDP) . الأكثر من هذا ، هذه الأرقام لا تتضمن أشكالاً أخرى من الديون ظهرت في الشكل ١-١ .

المصدر : الاحتياطي الفيدرالي

معظم أمريكا الشركات ، كانت أيضاً تدار بدون نقدية ، مع الاحتفاظ بالحد الأدنى من النقدية أو ما يساويه كمصروف يد ، والسماح بالحد الأقصى من المبالغ المدينة . عودة إلى الوراء قليلاً ، والدي وأنا درسنا عينة من ١٠ من أكبر الشركات الأمريكية : AT&T , Anaconda , DuPont , GE , GM , Good year Tire , International Harvester , Sears Roebuck , U.S. Steel , and Westinghouse Electric **وجدنا أنه ما بين ١٩١٠ و ١٩٥٠ ، حتى في الأوقات المهتزة ، كانت تقريباً لديها الكثير من النقدية بصورة شبه ثابتة ، في مقابل الفواتير والديون المستحقة خلال العام ، احتفظت هذه الشركات بما قيمته ٧٠ سنتاً لكل دولار . ولكن في أيامنا هذه ، تم تجاهل هذا المنهج وتنحيته جانباً . الشركات الآن تحتفظ بنقدية لا تتعدى ١٠ سنتاً لكل دولار .**

لذلك ، إذا كنت في حيرة ، لماذا الكثير من الشركات الكبيرة قد أشهرت إفلاسها بهذه السرعة ، فإنك الآن تعرف أحد الأسباب الأساسية : لقد نفدت النقدية التي لديها لدفع الديون التي أصبحت مستحقة .

لا توجد نقدية في الصندوق ؟ ديون ضخمة ؟ كيف تكون تلك الشركات بهذا التهور ؟ وكيف استطاعت أن تستمر على هذا الوضع طوال تلك السنوات دون أن تدفع ما عليها من ديون مستحقة ؟

فعلياً ، إنها اعتقدت بأنها شركات توصف بالمهارة البارعة ، وأن التجديد الأكثر مهارة من الكل ، كان يتمثل واقعياً ، في عدم وجود حدود على كروت ائتمانها التجاري . في أي وقت تتعرض الشركة الكبيرة إلى نقص في أموالها المتاحة ، تستطيع أن تستخدم كارت ائتمانها السوبر Super card ، وتنتزع تقريباً ، كل النقدية السريعة التي تحتاج إليها . اسمها : ورقة تجارية قصيرة الأجل عليها ثلاثة حروف IOU تعني أنني مدين لك ، تطبعها الشركات وتبيعها إلى المستثمرين .

عندما تغيرت الأمور ، لم تفلح الورقة التجارية كبديل مؤقت للشركات التي ليس لديها سيولة نقدية . لقد أصبحت عنصراً ثابتاً ودائماً لكل الشركات الكبيرة تقريباً ، سواء احتاجت النقدية أم لم تحتاج ، ولقد لجأت إليها باستمرار على مدى نصف قرن ! لقد سمحت لهذه الشركات بالعمل سنة بعد سنة وعقد بعد عقد ، بالنذر القليل من النقدية ، والحد الأقصى من الديون – كلها حتى اليوم المشئوم في سبتمبر ٢٠٠٨ ، عندما أعلنت شركة Lehman Brothers إفلاسها ، وتجمدت سوق الورقة التجارية . رفضت البنوك ، صناديق سوق المال ، ومستثمرون آخرون شراء معظم الأوراق التجارية . انطلاقاً من كل الأغراض العملية ، مات السوق .

نشطت الحكومة في الحال لإحيائها بتقديم كل أنواع الضمانات ، وأحدثت بعض التقدم . ولكن ذلك لم يغير من الحقيقة بأن معظم أمريكا الشركات كانت غارقة في بحر من الديون قصيرة الأجل . ولم تغير الواقع على الأرض بأن المستهلكين الأمريكان كانوا في نفس الورطة ، لا توجد جيوب أو محفظة في الملابس بها نقدية ، وبعض الديون الأكثر إرهاقاً في أي وقت – هذه حياتنا .

عقبة (٢) . لا أحد يريد أن يدفع ثمن كل شيء لصالح أي أحد

تمثلت العقبة الكبيرة الثانية التي واجهت الحكومة في جمع الأموال لكل حالات إنقاذ الفاشلين المعسرين . من الواضح تماماً ، إنه أثناء الاندفاع لإنفاق ، إقراض ، أو ضمان تريليونات من الدولارات ، لم يتعب أحد نفسه في الحكومة ، ويفكر بجدية في الإجابة على سؤال خطير بسيط ، " من الذي سوف يدفع كل شيء لصالح أي أحد ؟ من أين سوف نحصل على كل هذه الأموال ؟ "

مع الاقتصاد الضعيف الآن ، بالتأكيد لم يكن الأمر يتطلب اللجوء إلى ضرائب أكثر ارتفاعاً . ومع البطالة ، وارتفاع تكاليف الرفاهية ، فإن تخفيض الميزانية لم يكن يوفر الكثير أيضاً . لدى الحكومة خيار واحد : أن تقترض الأموال .

المزيد من الديون الكبيرة !

من المؤكد بدرجة كافية : أعلنت وزارة الخزانة في نوفمبر ٢٠٠٨ ، أنها سوف يكون عليها أن تقترض ٥٥٠ بليون $ في الربع الأخير ، أكثر من إجمالي عجز الميزانية عن عام بالكامل . في نفس الوقت . قدر Goldman Sachs أن الاقتراض القادم التي سوف تكون الخزانة في حاجة إليه رقمه مزلزل – ٢ تريليون $ – لكي تدفع لإنقاذ الشركات والبنوك الفاشلة والمعسرة ، ولتمويل العجز القائم ، ولتسديد الديون التي تصبح مستحقة . كان يصل إلى أربعة أضعاف إجمالي عجز الميزانية سنوياً . كان ذلك يعني، لجمع الأموال سوف تنحي الحكومة جانباً المستهلكين، دوائر الأعمال ، ومقترضين آخرين ، وتستولي لنفسها على أكثر من نصيبها ، ومما يزيد الطينة بلة ، إنها ترفع أسعار الفائدة على كل فرد .

تمنى بعض الناس أن موارد الحكومة نتيجة بعض الأعمال السحرية، يجب أن تكون غير محدودة . ولكن الحقيقة أنه لا يوجد غذاء مجاني ؛ بعض الأشخاص عليه أن يجمع الأموال ، ويدفع ثمن كل شيء يشتريه أي فرد آخر من خلال الائتمان . وبمجرد أن يأتي تاريخ استحقاق الفواتير ، يمكن أن تضطرب النتائج بسرعة – في شكل معدلات أسعار الرهونات العقارية تصبح أكثر انحداراً ، معدلات أسعار قروض المستهلكين أعلى ، أو الأسوأ فعلياً لا ائتمان بالمرة .

العقبة (٣) : الثقة الغارقة

العقبة الثالثة التي تصطدم بها الحكومة أكثر إثباطاً للهمة . كما كان الحال في الثلاثينيات (١٩٣٠) المال وحده ، مهما كان حجم إنفاقه بسخاء لا يمكنه أن يستعيد " الثقة " العامة . بينما أقدمت الحكومة على إنقاذ بعض البنوك الكبير مؤقتاً ، لم تستطع أن تفعل شيئاً يذكر لمساعدة آلاف البنوك الصغيرة . بينما استطاعت أن تساعد نسبة مئوية بسيطة من بعض المستهلكين بعض الوقت ، لم تستطيع أن تساعد معظم الأغلبية معظم الوقت . انحدرت ثقة المستهلك إلى أدنى مستوى في التاريخ المسجل . انهار إنفاق المستهلك . هذه القصة حكاها لي أبي عن عام ١٩٣٠ ، تظهر بعض التشابهات المثيرة :

بعد الانهيار كان الرئيس Hoover قلقاً حول غرق اقتصاد .U.S . لذا دعا قادة الشركات الكبيرة إلى اجتماع في واشنجتن – مديري العموم التنفيذيين من Detroit ومديري العموم التنفيذيين من Pittburg ، ومديري المصارف التنفيذيين من نيويورك . وقال ، واقعياً :

" أيها السادة ، عندما تعودون إلى مواقع عملكم في المصانع ، وفي المكاتب ، يوجد ما أريد منكم أن تفعلوه . أريدكم أن تحتفظوا بكل عمالتكم .

لا تستغنوا عن أي فرد ! . أريدكم أن تبقى مصانعكم تعمل . لا تغلقوا أبواب أي منها ! أريدكم أن تستثمروا المزيد ، تنفقوا المزيد ، أو حتى تقترضوا المزيد ، إذا كان لابد من ذلك . فقط لا تفعلوا أية تخفيضات . إنه من أجل سبب وجيه – إنه من أجل أن نحافظ على استمرارية عجلة اقتصادنا " .

قد يكون ذلك قد ظهر على أنه فكرة جيدة في البداية . ولكن ، عندما عاد مديرو العموم التنفيذيون إلى مصانعهم ومكاتبهم وقالوا لزملائهم : " إذا كان على الرئيس نفسه أن يدعونا إلى واشنجتن لكي يعطينا محاضرة حول كيف نسيِّر دوائر أعمالنا ، حينئذ ربما قد يكون الاقتصاد في حالة أكثر سوءاً مما اعتقدنا أنه غير ذلك ، لقد باشروا العمل بسرعة بالضبط على عكس ما طلبه Hoover . سرحوا العاملين بالآلاف . أغلقوا المصانع . وضغطوا النفقات إلى أقل القليل . إنهم كانوا ينفذوا برنامجاً للتقشف في كل شيء .

الآن ، التاريخ يعيد نفسه ، ولو على نطاق أكبر كثيراً ، ومع حكومة أكثر طموحها . وكما هو الحال من قبل ، كل حكومة جديدة تعمل على إنقاذ منظمات دوائر الأعمال ، أساساً تستقبل بالترحاب مع بعض الحماس . ولكن عندما تتضخم أعداد جمهور المرشحين القابلين للإنقاذ، ويدرك الناس عجز السلطات عن إرضائهم جميعاً ، الثقة تغرق وتغوص ربما إلى أبعد .

تشجيع اتحاد المستهلكين ودوائر الأعمال على المزيد من الاقتراض، المزيد من الإنفاق ، والقليل من الادخار ، ولكنهم فعلوا العكس بالضبط تماماً .

تحث واشنجتن المصرفيين على ضخ المزيد من الائتمان ، ولكن مسوحات Fed الذاتية تظهر أن البنوك على المستوى القومي تفعل العكس تماماً ، تقيد بشدة صارمة معاييرها للإقراض .

يعطي المسئولون الحكوميون أحاديث بصورة متكررة في محاولة لزيادة الثقة والحماس لدى المستثمرين لأخذ المجازفة لمزيد من الاستثمار ، ولكن معظم المستثمرين يفضلون تخفيض استثماراتهم إلى حد كبير – أو ينتحرون .

في كل حالة تدرك الجماهير ، أنه كان هناك إسراف في الاقتراض ، وإسراف في الإنفاق ، وإسراف في المخاطرة ، وكل هذا أدخلهم في كثير من المتاعب في المقام الأول . لذلك عليهم أن يفعلوا ما هو طبيعي : أن يخفضوا .

العقبة الأكبر من كل العقبات : الدائرة الخبيثة للدين والركود

الدين في حد ذاته عادة يمكن احتماله . يمكن أن يكوِّم الناس الديون تراكمياً سنة بعد سنة ، مادام المقترضون لديهم دخل – أو مادام يستطيعون الاقتراض من Peter لكي يدفعوا إلى Paul – فإنهم يستمرون في إجراء تسديداتهم – الحياة تستمر .

الانكماش – تخفيض الأسعار والدخول – ليس أيضاً سيئاً . إنه يجعل البيوت أكثر قابلية لتحمل نفقاتها ، التعليم الجماعي أكثر إنجازاً ، ومن السهل ملء خزان بنزين سيارتك .

إنه عندما تأتي الديون والانكماش معاً ، تأخذ العجلات طريقها إلى ممر الكساد . ذلك ما قد حدث في عقد الثلاثينيات ، وذلك ما قد بدأ يحدث هذه الأيام أيضاً .

في سوق الإسكان ، الأمريكان يتنازلون عن بيوتهم ، أو يجبرون على حبس الرهن لصالح الجهة المقرضة . تتعجل جهات حبس الرهن في البيع سداداً للدين .

يؤدي البيع سداداً للدين إلى تدهور سعر العقار المرهون . ولأن مالكي المنازل يكتشفون أنهم مدينون على منازلهم بأكثر مما تستحق ، فإن انهيارات السعر تسرع المزيد من الناس لكي يتخلصوا من منازلهم ، أو يدعونها جانباً عرضة للحبس وفاءً للدين .

في Wall Street ، تنبثق دورة مماثلة : شركات وبنوك كبيرة نفد رأسمالها ، لم تستطع دفع ديونها ، وتعلن إفلاسها . حالات الإفلاس – والخوف من المزيد القادم – دفع المستثمرين إلى بيع أسهمهم ، ومن ثم أجبرت الأسهم على تدني أسعارها . مع أسعار الأسهم الأكثر انخفاضاً ، لم تستطع الشركات والبنوك على جمع رءوس أموال ، ومن ثم ، المزيد من حالات الإفلاس .

المستهلكون ودوائر الأعمال الصغيرة ومتوسطة الحجم ، الحكومات على مستوى الولاية والمدينة ، المستشفيات والمدارس ، وحتى بلدان بكاملها، وجدت نفسها محاصرة في نفس حلقة الهبوط اللولبية : تقطع إنفاقها ، تستغني عن عمالها ، تغرق أصولها ، تفقد إيراداتها ، وحينئذ تقطع المزيد من إنفاقها مرة أخرى .

من الطبيعي أن هذه الدوائر الخبيثة تكتسب قوة دفع ذاتية . بمجرد أن تشرع في التحرك ، يكون من الصعب جداً – إن لم يكن مستحيلاً – على أية حكومة أن توقفها . إذا حدث أن انفجرت فقاعات أسعار المضاربة إلى عنان السماء ، ولا تستطيع أي قوة على الأرض بأن تعيدها إلى حالاتها السابقة .

هذه تصدق بصفة خاصة على الفقاعة الأولى التي انفجرت ليلة كساد أمريكا الكبير الثاني – العقارات ، موضوع الفصل التالي .